

عزیزی فرید اللطیفی



بقلم : أحمد فؤاد حسن

الخطاب الأول

« عزيزى الراحل ..

كتبت لك هذه الرسالة فى صيف العام الماضى ..

وقررت أن أنشرها مع بداية العام الجديد ..

ولم أكن أدري أنك لن تقرأها أبداً ..

فقد رحلت عنا إلى الأبد

وجلست أحاول تحويلها لأخاطب فريداً الراحل ..

وعبثاً حاولت ... !

وها هى ذى كما كتبته تملأ . وأنت معنا ..

لأننى أحس دائماً أنك معنا .

• بفنك .

• بوفائك .

• بصدافتك الصادقة التى لا تموت » .

... .. كما أن الزواج والاستقرار يا عزيزى فريد كانا أبعد شئ عن حياتى ...

ولم يخطر على بالى قط . فأصبحت أماً واقعاً وأصبحت حياتى كلها . فكذلك صداقتنا

كانت فى يوم ما أبعد شئ عن حياتى . فأصبحت صداقة من نوع جديد . فريد ..

صدقني يا عزيزي أننى وكل جيلى الجديد من الموسيقين (الذى أصبح ليس جديداً
الآن) . كنا وقتئذ ننظر إليك كما كان ينظر الضباط الأحرار إلى الأسرة المالكة قبل
الثورة ... لماذا ؟

أقول لك لماذا

كان جانب الكفاح فى حياتك خافياً علينا !
حينما بدأت حياتنا الفنية العملية لم نكن نعرف عن فريد الأطرش غير أنه فنان
أرستقراطى النزعة .

لم نعرف عن فريد الأطرش غير أنه يسكن فى برج عاجى ملكى فوق قمة عمارته
الشاهقة فى أجمل موقع على نيل القاهرة يستقبل فيه أصدقاءه من الأمراء والوزراء
والحكام فى العالم العربى ..

ويعمارس فيه ومنه هواياته الأرستقراطية على أعلى المستويات . النساء ... الخيول ...
اللعب ...

وصدقنى أيضاً يا عزيزى فريد - أن هذه الصورة الفاخرة أبعدت عن آذاننا الغضة
التي كانت تلتقط كل شئ حينئذ ... أبعدت عنها روائعك اللحنية الأولى .. وصوتك
السليم .. ، السليم الذى لا يهرم .

أبعدت الصورة الأرستقراطية الفاخرة .. أحيانك ... وصوتك عنا .. ولكن إلى حين .
وتمضى الأيام ...

وتكتسب الأعواد الطرية صلابة .. وتصبح البراعم الفنية زهوراً فواحة . تنشر العطر
حولها أينما تحل ...

وبدأت أنت التقارب ...

بدأته بتجربتك الكبيرة ... وذوقك البالغ الرقة إذ جاءنى يوماً صديق لى ولك
يقول :

- الأستاذ فريد قال فيك أمس كلاماً كبيراً ...

- الأستاذ فريد الأطرش ... وماذا قال ... ؟

- قال إن أحمد فؤاد حسن قدم للموسيقى ... وقدم للموسيقين ...

وفعل كذا .. وكذا .. وإنتى سوف أكون سعيداً جداً إذا تعرفت به . وسوف أكون سعيداً جداً إذا تعرفت به . وسوف أكون سعيداً أكثر إذا نفذلى موسيقاى ... وألحانى ... وكان اللقاء على يد الصديق العزيز الأستاذ جلال معوض ... والمناسبة حفلة أضواء المدينة فى افتتاح مشروع السد العالى فى يناير ١٩٦٠ . فى أسوان .

وكما جمعت هذه الحفلة نجوم السياسة العالمية ... فقد جمعت نجوم الغناء فى الشرق العربى وكان الجو القنى فى هذا الوقت رائعاً بلا شوائب .. صافياً بلا غيوم .. فكنت ترى فى الحفلة الواحدة العديد من النجوم ... كنت ترى الحفلة تجمع فريداً وحليماً ووردة وشادية وفايزة وصباح ونجاة وفايدة وشهرزاد وقنديل وطلب وغيرهم .. وتمر الحفلة بلا أية متاعب ولا احتكاكات .

أما اليوم وللأسف ، فيجب أن تكون كسينجى المواهب لكى تستطيع أن تجمع اثنين من هؤلاء النجوم فى حفلة غنائية واحدة ..

إن لم يكن فى حفلة استقبال واحدة ...

وعندما تقابلنا فنياً أولاً .. ثم دعوتنى كصديق إلى بيتك ومحافلك .. وجالستك ..

وعاشرتكَ صدقت المثل الشعبى العميق المعنى .

- تعرف فلان ؟

- أيوه .

- عاشرته ؟

- لا .

- بينى ما تعرفوش .

نعم يا عزيزى الصديق فريد . . فعندما عاشرتك زال الغلاف المفتعل الذى كان يحيط بصورتك . . وبصوتك . . وبألحانك . . وأخذ التقارب بيننا ينمو ببطء وبعمق ، وبفهم . حتى أصبح صداقة أكبر من الصداقة . . وأخوة وأعمق من الأخوة . لم تستطع الخلافات الفنية الطارئة أن تؤثر فى هذه العلاقة بل ان كل خلاف ، ولو أدى إلى الانفصال الفنى بيننا ، كان يدفعنا إلى التقارب الأكثر . . حتى نؤكد لنفسينا وللناس أن علاقتنا أقوى من أى شئ .

وأصبح لا يمكن أن يجمعنا بلد واحد بدون أن نكون معاً يومياً فى القاهرة . . فى بيروت . . فى لندن فى باريس . . فى الأردن . . فى المغرب . . فى الخرطوم . . فى دمشق . . فى الكويت . . فى ليبيا . .

ومن هذا الرباط القوى المتين . . ومن خلال هذه المعاشية الدائمة أعتقد أننى أستطيع أن أكتب لك فى ما يعنى لى حول فريد الأطرش الفنان . . وفريد الأطرش الإنسان . .

يا عزيزى فريد . . .

لا شك أن لك قصة كفاح كبرى فى بدء حياتك الفنية تتواكب مع هجرتك إلى عاصمة الفن القاهرة . . أنت والمرحومة والدتك . . والمرحومة ذهبية الصوت وفقيدة الغناء العربى أسمهان أختك ، وأخوك العتيد فؤاد . . .

عملك كبائع بسيط فى محلات بلاتشى بالموسكى بستة جنيهات شهرياً ، عملك فى كازينو بديعة مغنياً وملحناً بما يوازى هذا المبلغ تقريباً ، إلى نهاية هذه السلسلة من شق الصخر . . التى لا يمكن لفنان مرموق له مكانته فى غابة الفن (عفواً أقصد فى عالم الفن) إلا أن يمر بها ويتجاوزها .

وأنتجت هذه المعاناة بالطبع مجموعة لحنية أصبحت فى وقت ما قوتاً يومياً

للجماهير العربية من المحيط إلى الخليج .

« مجموعة الموسيقى الراقصة » .

« مجموعة الأوبريتات الفلمية » وهى فى رأى ثروة لحنية يمكن الآن والآن بالذات . . أن تحول إلى أعمال مسرحية . . وقد يبدو هذا المشروع خيالاً ولكن أين هو المشروع الناجح الذى لم يبدأ بالتصور والتخيل .

« مجموعة الأغاني القصيرة الخفيفة من أول « ياريتنى طير » إلى « يابو ضحكة جنان » .

« مجموعة الأغاني الكبيرة . وعلى قممها هاتان الأغنيتان ، بل هاتان الظاهرتان الفنيتان » .

١ - الربيع .

٢ - أول همسة .

ولا أعتقد أن مطرباً فى العالم العربى ، بل فى العالم كله قد وافته الجراءة على أن يظل يغنى على المسارح ، أغنية ما ، لمدة ربع قرن أو يزيد كما غنيت أنت هاتين الأغنيتين وكأنك كنت تعرف النتيجة تماماً فى كل مرة . . .

وكم كان أصدقاؤك يشفقون عليك . وعلى نتيجة هذه الجراءة الفائقة فى كل مرة تنوى فيها غناء احدهما .

ولكن ما يحدث من استقبال الجماهير لهما وتفاعله معهما دائماً كان شيئاً مذهلاً . بل هو ظاهرة فنية تدعو للدراسة والتحليل .

هل هى الألحان . . هل هو صوتك . . هل هو ارتباط كل لحن منهما بذكريات معينة لكل فرد من هذا الجمهور العريض ؟

أعترف أننى لست أدرى . . .

وأعترف أيضاً أننى فى كل مرة أستمع فيها إلى أحد اللحنين أطرب وأحس بما

يشبه الألفة . . والصدقة التي تجمع بين إنسان . . وشيء غامض ما . . .
وبرغم أنك يا عزيزى فريد قد احتملت بالتأكيد أحد الأركان الأربعة فى قمة
الهرم الفنى فى عالمنا العربى .
وأصبحت عضواً دائماً فى نادى القمة الذى تقتصر عضويته الآن على أربعة فقط .
فإن نوعاً من المראה الفنية ، يقفز إلى لسانك . . ويعذبك مذاقه كلما تذكرت
قصتك مع أسطورة الغناء أم كلثوم . زميلتك فى عضوية نادى القمة .
« كل ما وصلت إليه يا عزيزى فريد كان فى كفة ، ولحن لك تشدو به أم كلثوم
كان فى كفة أخرى وأنا لا ألومك . . فألحان الموسيقى بناته . .
وأيّن الأب الذى لا يتمنى أن يزوج ابنته لرجل يضمن لها سعادتها وهناءها .
وصوت أم كلثوم يضمن النجاح والانتشار لكل لحن يقترن به . لا ألومك يا عزيزى
العزيز فى هذا المطلب العادل . . .
ولكن ألومك فى الاستمرار فيه . .
فلقد عرضت عرضك وطلبت طلبك وصار للموضوع مباحثات طويلة كالمباحثات
المصرية البريطانية أيام زمان إلى أن حدثت القصة التى كان يجب أن تختم الموضوع .
عندما اتصل بك الزميل أحمد الحفناوى يطلب منك الحضور لبيت سيده الغناء
لتسمع منك ما عندك . . وطرت فرحاً . وطرت إلى بيتها حاملاً عودك وآمالك وفى المقابلة
الفنية الكبيرة استقر رأيها على أغنية (وردة من دمن) شعر الأخطل الصغير . . وكان
لها شرط واحد هو ألا يعلن عن ذلك إلا فى حينه عملاً بالحديث الشريف (استعينوا على
قضاء حاجاتكم بالكتمان) ولأسباب أخرى لست فى حل من ذكرها الآن . .
وحددت ميعاداً لبدء البروفات . . وعندما حان هذا الميعاد تبدد كل ذلك . . وكأن
شيئاً لم يكن . . بلا أى سبب معقول . . .
عزيزى الإنسان فريد . . .

قد لا أعدو الحقيقة إذا قلت لك إنك أعجب انسان قابله في حياتي .

أنت طيب وقاس ،

أنت غني وفقير ،

أنت صحيح ومريض .

أنت باختصار مجموعة متناقضات تشكل إنساناً لا يملك كل من يعرفه إلا أن يحبه . وإلا أن يشعر أنه لا يستطيع أن ينساه أو يتعد عنه .

أنت طيب وقاس بدرجة مؤلة .

فكل إنسان يعيش في مجتمع ، قد اكتسب مع الزمن كنترولاً معيناً يحدد له مدى صراحته في تعامله مع الناس ، إلا أنت .

فلم تعترف بعد بهذا الكترول أو لم يتمكن هو من التعايش مع طبيعتك الطفلة . وأنت غني وفقير بدرجة مؤلة .

فكل إنسان يحدد لنفسه المدى الذي يستطيع أن يتفق فيه والمدى الذي يستطيع أن يدخره لأيامه المقبلة . . . إلا أنت فقد شاهدتك بنفسى تفقد عشرات الألوف في ليلة واحدة .

وحضرتك بنفسى وأنت تطلب أن تعمل وأن تلحن وتغنى للإذاعة والتلفزيون لتستطيع أن تدفع ديونك وتعيش .

وأنت صحيح ومريض بدرجة مؤلة .

فكل إنسان يخاف على نفسه وتملكه غريزة البقاء إذا ما أناه النذير بخطر معين على صحته ويبدأ في تلافي جميع الأسباب التي أدت إلى هذا الخطر الذي يهدده ، إلا أنت .

فعندما ينصحك الناصحون تقول لهم ضاحكاً :

« إني مؤمن أن الله لن يمهلني ساعة واحدة عن الميعاد الذي حدده لوفاتي سواء

أكنت ، مريضاً أم صحيحاً » ثم تضيف مقهقهة : أتدرون ماذا حدث للطبيب الذى حدد لى عاماً واحداً أعيشه بعد أزمة القلب الأولى التى حدثت لى . . لقد مات هو بعدها بقليل وعشت أنا عشر سنوات أخرى ومن بدرى كم سأعيش أيضاً .

بقيت لى يا عزيزى فريد نقطة واحدة فى حياتك كإنسان . نقطة خاصة جداً . يمكن أن تملأ كتاباً كاملاً . . ويمكن أن تختار لها عنواناً (فريد والنساء) أو (فريد والزواج) .

ولكنى هنا . وفى هذه الرسالة القصيرة سأقول رأيك أنت فى هذا الموضوع ثم رأى الناس . . ثم رأى أنا .

١ - رأيك أنت يا عزيزى - أنه وعلى كثرة من عرفت من النساء . . من مختلف صنوف النساء لم تعثر على المخلوقة التى تستطيع أن تشدك من عالمك الحافل بكل ألوان المتعة ، وبكل مباحج الحياة ، وأن تعوضك داخل سجن الزواج الذهبى . . عن دنياك الرجبة الفسيحة العاشدة بمئات الأصدقاء من كل جنس ولون .

٢ - رأى الناس عموماً : وأصدقاؤك خصوصاً - أنك أبعد الناس عن الزواج . . ولا سيما الآن وأنتك ستجنى على من ستزوجها . . وأنتك لن تستطيع بأى حال من الأحوال أن تعرف الفرق بين الحياة الزوجية بكل قدسيتها . . وبكل قيودها . . وبين الحياة الحرة . . وخصوصاً حياتك أنت بالذات .

٣ - رأى أنا : يا أخى العزيز فريد أنك كنت مع النساء كلاعب كرة القدم يجرى بكل حواسه وطاقته وراء الكرة . وعندما تكون فى متناوله يتخلص منها بسرعة إلى لاعب آخر وهكذا دواليك .

والآن . . هل تستطيع أن تكسر قواعد اللعبة وتحفظ بالكرة وتجري بها خارج الملعب . . إلى بيتك . . هل تستطيع . . ؟

إن كنت تستطيع فافعل فوراً وبسرعة .
 لا تستمع إلى من يحاولون إثناءك عن عزمك . . ولو كانوا أقرب الناس إليك . .
 اعزم فوراً . . وتوكل . . وأنا واثق أنك ستبدأ حياة جديدة . . جديدة في كل
 شيء . . وستدخل عالماً آخر من المسئولية المحيية إلى النفس . . وستفتح باباً إلى دينا
 من الإلهام والإبداع الفني . . سترضيك .
 وترضى جمهورك العريض .
 وترضى معشوقتنا الإلهية الأبدية :
 « الموسيقى » .



الخطاب الثاني

عزيزى الغائب . .
 بلا وعى . . وبدون مقارنة . . وبرغم أننى لا أمسك القلم لأكتب إلا كل حين . .
 فقد وجدت نفسى بحاجة لأن أتحدثك إليك .
 وهأنذا أكتب إليك مرة أخرى .
 حقاً . . اختلفت المراتن اختلافاً كبيراً .
 ففى المرة الأولى كنت موجوداً بينما . . كنت موجوداً . . حاضراً . . تملأ الدنيا
 حواليك بهجة ومرحاً وانطلاقاً . وهذه ليست مبالغة .
 إنها الحقيقة . . فهذا هو أنت يا فريد . . أو ما كنت .
 أنت لم تكن تطبق الليل نهاية . . ولا تطبق للنهار وجوداً . . لا تعترف بانفصال
 مؤقت بينك وبين من تحب . إنك تريد معك دوماً . . يضحكون . . يمزحون . .
 يلعبون . . يستمعون إلى ألحانك وصوتك . . وتستمع معهم . وكأنك تستمع إلى إنسان
 آخر . وألحان تسمعها لأول مرة . . تطرب لها وتعجب بها .
 وفى هذه المرة . . أنت غائب . . بعيد . . فى عالم آخر مجهول ، مجهول .
 إننى وجدت نفسى بحاجة لأن أتحدث معك . . أو أكتب لك . . وأنت فى
 هذا العالم المجهول وبى ثقة غريبة أنك تسمعنى أو تقرأ لى .

لماذا ؟

لست أدرى . . ولست أريد الخوض فى فلسفيات روحية . . أو البحث فى ما
 وراء الطبيعة . . ولكن هذا هو ما أحسه . . وأصدق ما نملك فى حياتنا هو الإحساس .

أتذكر يا عزيزي فريد عندما كنت أنصحك أن تدخر لغدك شيئاً ينفعك وقت أن ينفض السامر . . ويتفرق الناس من حول الفنان عندما ينطقُ بريقه .
 قطعة أرض . . عمارة . . أى شيء من هذا القبيل وأقول لك لقد أضعت الملايين . .
 واستمتعت بكل شيء وعشت ما عشت من حياتك بالطول وبالعرض .

فلا أقل من أن تعمل حساباً لأيام الجفاف الفنى . .
 وتقول لى فى ثقة غريبة لن أعيش أيام جفاف فنى . . وسأموت كما عشت أستمتع بحياتى حتى آخر لحظة . . ولن أتعهد أن أترك شيئاً . . ولن أترك من بعدى . . ؟
 أنهم . . أنهم سينسوننى ويتصارعون فى سبيل ما تركته فالأرح نفسى وأريحهم .
 صدقت يا فريد . . فما حدث بعد ذهابك . . كان مأساة أخرى . . برغم قلة ما تركته نسبياً . . برغم قلة ما لم يهلك القدر لتصرفه . . فقد أحدث معارك . . وفرقات بين الإخوة . . وبين الأصدقاء والصديقات . . وظهر لك أقارب وأبناء وحفدة يعلم الله أين كانوا فى حياتك وخاضت الصحف فى هذا الموضوع السيئ . . وأفردت له صفحات وصفحات وأعداد خاصة وعامة .

وأمرح يا عزيزي فريد وأطرب . . فقد لحقك الحسد حتى وأنت ذكرى . .
 حتى وأنت فى عالمك المجهول ولكنه حسد نبيل جميل واسمع القصة بأكملها. فى لقاء لى مع الفنان الكبير . . المهندس الملحن أحمد صدقى والذى أقبل بكل طاقته الفنية وإمكاناته الإبداعية فى هندسة البناء والفن التشكيلى . . أقبل على إعادة بناء مقبرة جديدة رائعة تضم رفاتك . . وأختك ذهبية الصوت أسمهان .

فى هذا اللقاء قال لى أحمد صدقى . . إننى أحسد هذا الرجل . . . أحمد فريد الأطرش . قطعاً إنه عمل خيراً كثيراً .

قطعاً إنه قريب من الله . . .

هل تتصور أنه للآن وبعد مرور شهر على وفاته لا يمر يوم واحد . . إلا ويأتى لزيارته أشخاص مجهولون . سيارات تقف وينزل منها راكبوها ليقرءوا ويقرءوا على روحه

بعضاً من آيات الله . . أناس مختلفو الشخصيات يأتون جماعات وفردى ليتصدقوا على روحه ويقرأوا له الفاتحة . . وهذه الحسنة الغامضة . . الملتفة بعبادة فضفاضة من الحرير الأسود . . لا يمر يوم إلا وتوقف سيارتها بعيداً . . وتأتى إلى القبر لكي تضع باقة من الزهور . . ثم تتسحب فى هدوء .

وكما وجدت نفسى يا فريد بحاجة إلى أن أكلمك . . أو أكتب لك . . وجدت نفسى وقد فرغ منى الكلام . . ولم أملك إلا أن أقول لك : إلى اللقاء .

أحمد فؤاد حسن

